

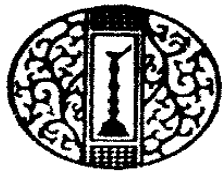
مجلة علمية، ثقافية، جامعة، فصلية

ثقافة الهند

العدد ١

المجلد ٤٣

١٩٩٢م



المجلس الهندي للعلاقات الثقافية

آزاد بوان، نيودلهي

الهند

٤٣٦

محتويات العدد

المُرشد نانك في المنظور الاسلامي	٨٠ - ٧٢
البروفيسور نثار أحمد الفاروقى	

المرشد نانك فى المنظور الاسلامى

**بقلم : البروفيسور نثار أحمد الفاروقى
رئيس قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة دلهي**

جورونانك (١٤٦٩ - ١٥٣٩م) شخصية فريدة فى تاريخ الديانات. انه تولد و نشأ فى احضان أسرة كاشترية بولاية البنجاب فى الهند، و قام بتأسيس ديانة لبرالية ضمت إليها جميع الديانات. ذات مرة تحدث الملك المغولى جلال الدين اكبر عنه فقال :

"الكاشتريون عامة هندوكيون أرثوذكسيون، و الغريب فى الأمر أن يتولد بينهم مؤسس ديانة"

لقد عرف أتباع جورونانك فى أول الأمر بتسمية "نانك بانثى" (NANAK) (PANTHI) و السمات الرئيسية لتعاليمه تلخصت فى خصائص التفاهم و التسامح تجاه ديانات أخرى، و لاسيما تجاه الديانات التى تأسست على الوجدانية و القيم الانسانية، فانه رفض الشرك رفضا مباشرا، و نظرتة تجاه ذات الاله و صفاته كانت أعمق بالمقارنة مع الديانات الرئيسية الأخرى التى نشأت فى شبه القارة الهندية، و الكتاب - جورو جرنث صاحب - الذى تقده الطائفة السيخية، هو الوحيد - من بين الكتب الدينية الهندية - الذى يتضمن الأناشيد و الأبيات و المقولات الماثورة من الزهاد و المتصوفين من أتباع مختلف الديانات، و القيمة الجوهرية للعقيدة السيخية تكمن فى البر و الاحسان و التسامح و ذلك لأن هذه العقيدة تبنت رؤية واضحة من ذات الاله عز و جل .

كلمة "السيخ" مأخوذة من كلمة "شيشيا" (SHISHYA) أو التلميذ و المتبع ، و فى مصطلح الصوفية يراد بها "المريد" أو المتبع و المسترشد، فيما يراد بـ "جورو" المرشد لسواء الطريق.

و عن الطقوس الدينية السيخية ، فانها تشبه تعاليم و مسالك الصوفية

المرشد نانك في المنظور الاسلامى

من الطريقة الشيشتية. و أوجه التماثل هذه بين الطقوس الدينية السيخية و الطريقة الشيشتية، تنعكس في اشتراك اتباعهما في احلال الـ "جورو" و "المرشد" مكانة الاجلال و التقديس و هكذا فان كلمتى "جورو دوارا" (معبد السيخ) و "خانقاه" (الزاوية) عبارة عن المكان الذى يسكن فيه الشيخ أو المرشد الروحى ، و يلقن أتباعه دروسا فى السلوك ، و يشرف على اصلاح أخلاقهم و مدارج ترقيتهم الروحية، يعتبر "جورو دوارا" بيت المرشد، و الكتاب المقدس "جورو جرانث صاحب" يحل مكان المرشد أو جورو فى الديانة السيخية.

يكون المطعم أو (LANGAR) سمة بارزة لمعابد السيخ، و الطعام هناك يوفر للجميع فقراء كانوا أم أغنياء. و الدراويش من الطريقة الشيشتية أيضا يمارسون نفس التقاليد منذ خروج الطريقة لحيز الوجود فى القرن الحادى عشر الميلادى تقريبا، و الصوفية المسلمون يولون اهتماما كبيرا لإطعام الجياع بدون أى تمييز على أسس العقيدة أو اللون أو الجنس، و هكذا فان الطعام فى المعابد السيخية يوزع بين الزوار جميعهم، و توجد فى بعض المعابد الرئيسية دوائر خاصة كتنظيم المطاعم على نطاق واسع جدا. و من أوجه التشابه بين مؤسستى "جورو دوارا" و "خانقاه" أن السيخ يمارسون تقاليد النذورات التى تعرف بـ "كراه براساد" (KARAH PRASHAD) كمثل الصوفية المسلمين الذين بدورهم يقدمون النذورات لإيصال المثوبة تصدقا على المشانح أو على أقربائهم الذين وافاهم الأجل، و يقرأون الفاتحة عليهم، و يتلون الآيات القرآنية، و يوزعون الحلوى و الفواكه. (التقليد السيخى KARAH PRASHAD أيضا يكون صدقة و نذراً بالنيابة عن المرشدين السابقين).

و هنا تجدر الإشارة إلى أن جورونانك اختار جورو أنغاد (GURU ANGAD) (١٥٠٤-١٥٥٢) الذى لم يكن يرتبط به بالعلاقة الدموية، و عينه خليفة له، و المشانح من الطريقة الشيشتية من أمثال الخواجه معين الدين السجزي الأجميرى (المتوفى عام ٦٣٤ هـ / ١٢٣٧م) و الشيخ فريد الدين مسعود غنج شكر (المتوفى ٦٧٠ هـ / ١٢٧١م) و الخواجه نظام الدين أولياء (المتوفى ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥م) أيضا وضعوا نفس التقليد، و لم يقوموا بتعيين أقاربهم خلفاء لهم. و لو أجرينا دراسة مقارنة بين طرائق المشانح المسلمين من الطريقة الشيشتية و الأنظمة التى اتبعها الزهاد السيخ ، لوجدنا عدة أوجه تشابه أخرى بين التقاليد المتبعة لديهم. فقد زار جورو نانك أثناء رحلاته عدة زوايا و مزارات فى أماكن بعيدة، و يروى أنه مكث لفترة فى زاوية الشيخ ابراهيم. ابن حفيد البابا فريد، فى بلدة باك بتن (مديرية ساهيوال فى باكستان حاليا) و تسلم منه خرقة (كساء خاص بالصوفية) مازالت محفوظة فى معبد تشولاصاحب (CHOLA SAHIB). وفى بعض المراجع القديمة نعثر أيضا على محادثات بين المتصوفين حول موضوعات التوحيد و التجارب الروحية. و يقال أيضا أن الآيات القرآنية منقوشة بخط بديع على الخرقة المحفوظة فى معبد تشولاصاحب

ثقافة الهند

و هكذا يروى أن جورو نانك استلم أثناء زيارته لزاوية الشيخ ابراهيم مجموعة من الأبيات التي قرضاها البابا فريد باللغة البنجابية ، و لقد أدرج جورو أرجون ديف (ARJUN DEV) (١٥٨٢ - ١٦٠٦) تلك الأبيات فى كتاب السيخ المقدس: جرنث صاحب (GRANTH SAHIB).

و يعتقد عامة السيخ و مؤرخو الديانة السيخية أيضا بأن جورو نانك زار مكة المكرمة، و قضى وقتا من حياته داخل أسوار حرم الكعبة الشريفة. الأمر الذى يثبتته ما عرف عن مشايخ الشيشتية انهم لم يمنحوا خرقة الخلافة لغير المسلمين أبدا. و من الأدلة المقنعة التى يمكن الاستناد إليها لإثبات أن جورو نانك كان مؤمنا بالتعاليم الاسلامية أن أسوار حرم الكعبة الشريفة استمرت محظورة الدخول لغير المسلمين طيلة ١٢٦٢ سنة ميلادية (١٤٠٤ سنة هجرية) مهما تكن مكانتهم الروحية أو الدنيوية، و هكذا فلا مجال للاعتقاد بأن جورو نانك تنكر أو تظاهر بالاسلام لذلك الغرض. و يروى بعض المؤرخين أن جورو نانك اعتزم على زيارة مكة المكرمة بعد أن تحدث إلى عدد من الكهنة الهنادك، فأحرم مثل الحجاج المسلمين، و رفع عصاه، و أخذ معه سبحة و سجادة و جرة ، و أذن أذان المسلمين.

الواقع أن جورو نانك أعطى العقيدة طابعا كونيا، و دعا البشرية لنبذ الخلافات و المناوشات الركيكة، و حث على التخلص من حصار الطقوس. انه أرشد إلى القيم الانسانية و حب البشر و العقيدة الصادقة و علم التصوف و المعرفة الروحانية، و المجموعة الماثورة جاب جى (JAPJI) من أوراده و أدعيته، عبارة عن عرض بليغ و محكم رغم كونها صغيرة الحجم، و انها تتحلى بملاحظات أنيقة تنور الروح و الدماغ.

هناك ثلاث نقاط هامة تبرز أوجه التوافق الكامل بين الديانة السيخية و التعليمات الاسلامية، تنعكس أولها فى عقيدة التوحيد و بيان الذات و الصفات الالهية. ففى وصف الاله يقول جورو نانك انه الواحد، الباطن، الحق، القدوس، و هو الفاعل الحقيقى و الخالق و الحفيظ، لا يخشى أحدا و لا يتغير. انه أزلى موجود بذاته، حتى لا يموت، و بنفسه مصدر للنور و الوجود. و صفاء الروح هدف لا يمكن احقاقه بالغسل (SNAN) أو الصمت (MAUN) أو برفض الطعام (BARAT) أو الحكمة (DARSHAN) ، بل المفروض - للتوصل إلى المعرفة الالهية - أن يستسلم المرء لمرضياته ، الأمر الذى يعرف فى مصطلح الصوفية بالتسليم و الرضا. و جاب جى Japji أى كتاب الأوراد هو أفضل دليل روحى ذات رتبة فائقة، و الآداب الصوفية تثبت و تصدق معظم هذه الاعمال و الأوراد.

وثانيا فان الديانة السيخية تؤمن بالمساواة و العدالة الاجتماعية، و ليس هناك ما يمكن تعريفه بالتقسيمات الطبقيه. و كالنتيجة لذلك فان هذه الديانة تقف ضد النظام البراهمي الذى وزع المجتمع الهندى بين طبقات، و تسبب بالتالى فى خلق طبقة كبييرة من المستضعفين و المحرومين

المرشد نانك فى المنظور الاسلامى

و المضطهدين فى شبه القارة الهندية. بدأت الديانة السيخية للاحتجاج ضد سيطرة البراهمة و قهرهم، ان طقوس السيخية كلها تدور حول وحدانية الله و فى بداية الأمر لم تكن توجد فيها مطامح سياسية، و السيخ نبذوا التقييدات الدينية ابتدعت من قبل زعماء الديانات الهندية و رفضوا الخضوع لها. و ثالثا فان الديانة السيخية أبعد ما تكون عن الوثنية، و لا مكانة فيها للطقوس الظاهرية.

لقد جاء فى JANAM SAKHIS :

"عند ما زار جورو نانك سريلانكا، سنله الملك السريلانكى (و كانت ديانتته بوذية كما يبدو) مرارا و تكرارا أنه برهمي أو كاثري؟ أجاب عليه جورو نانك بأسلوبه الحكيم : لقد حل المرشد البار هذه العقدة العويصة بأن كل من يصب اهتمامه على ذات واحد، تكون راحة مصونة من الشرود فى متاهات الضلال، و فى نهاية الأمر انه ينال ربه." (٤)

و السير جوكول تشاند نارنغ (SIR G. C. NARANG) تعرض لنفس الموضوع فذهب لحد أن قال :

" يمكن الاعتراف فى أول وهلة بان الديانة السيخية فى ظهورها مدينة للاسلام. و الحقيقة انه لو لم يكن الاسلام قد تعدى حدود الهند، لما وجدت ثمة الديانة السيخية، على الأقل فى شكلها الحالى" (٥).

و الكتاب السيخي المقدس - جورو جرننت صاحب - هو الآخر مثال حي لما تتميز به الثقافة الهندية من التعددية و التزاوج . فانه يتضمن ماثورات المرشدين السبع بجانب أبيات ١٦ آخرين من الصوفية و الزهاد بمن فيهم الشيخ فريد و الأسقف كبير و سرى رافيداس (RAVIDAS) و نام ديف (NAMDEV) وغيرهم. و هناك ١٢٤٢ كلمة عربية و فارسية بأصوات مغايرة عن الكلمات الأصلية (السبب فى ذلك يعود إلى أن الخط الجورموكي (GURMUKHI) لا يتضمن جميع حروف الهجاء المستعملة باللغتين المذكورتين) و بالنظر فى عدد من الأمثلة يتبين مدى تزاوج اللغة التى استعملت فى "جورو جرننت صاحب" . و الأعداد المذكورة فى العمود الرابع من الخريطة أدناه تدل على أنه كم مرة وردت الكلمة فى الكتاب المقدس. إلا أننا اخترنا فقط الكلمات التى تسلط الأضواء على مدى التفاهم اللغوى - الثقافى.

ثقافة الهند

رقم الصفحة	كم مرة أتت الكلمة في جرننت المقدس	معنى الكلمة	التلفظ الأصلي للكلمة باللغة العربية أو الفارسية	الكلمة العربية/الفارسية بالطريق الذي ورد في الكتاب السيخي المقدس
١١٦١	١	أب البشرية	آدم	ADAM
١٣٨٠	١	الدرويش بمكانة روحية عالية	أبدال	ABDAL
٤٤٢,٥٣ ١١٣٨,٧٢٤ الخ ١٣٨٣	٢٢	الاله	الله	ALLAH
٥١٨,٤١١ ١١٠٠ ١١٦١	٣	الأساقف	أولياء	AUL AULIYE
١٣٩٣	١	أب البشرية	بابا آدم	BABA ADAM
	١	العيد الاسلامي الذي يحتفل في العاشر من شهر ذي الحجة	بقرعيد	BAKRID
١٤١,٢٤ ١١٦٤,٩٥٢ الخ	١٠	الجنة	بهشت	BHIST BHISTE BISTO
١٣١٨	١	تارك الصلوة	بينماز	BENAWAJA
١٣٧٧,٧٩٣	٢	صراط فوق الجحيم	پل صراط	PURSALAT
٣٦٤,٥٣ ٨٩٧ وغيرها	٦	الرسول	بيغمبر	PAIKA BAR PAIKAMBAR PAIMBAR PAI KAMAR
٩٥١,١٤٠ ١٠٨٤	٣	التسبيح	تسبيح/سبحة	TASBI
١٠٦٤,١٠٣٦	٢	الحاج إلى مكة	حاجي	HAJI

المرشد نانك في المنظور الاسلامى

١٠٠٠	١	موجود في كل مكان	حاضر ناظر	HAJIR NAJIR
١٣٥٠ ، ٨٨٥ الخ	٧	الحج إلى مكة	حج	HAI
١٠٨٤	١	أقوال النبي (ع) وأعماله	حديث	HADISA
٩٥٦ ، ١٤٠ الخ	٥	الحق	حق	HAK
٨٩٧ ، ٤٨ الخ ١١٣٥٠	١١	الخالق	خالق	KHALAK
٨٩٧ ، ١٤٠ الخ ١٢٨٦	٢٣	الله	خدا	KHUDAI
١٢٨٤ ، ٧٢٢ ، ٥٣	١٠	الزاهد	درويش	DARWES DARWESAN DARWESAWI
٩٧٠ ، ٧٢٤ الخ ١٣٨١	١٥	الجحيم	دوزخ	DOJ, DOJAK
١١٦١ ، ٩٠٣	٢	الرحمن	رحمن	RAHMAN
٨٩٦ ، ٨٨٥ ، ٦٤	٣	الرحيم	رحيم	RAHIM
٣٢٠	١	الرسول	رسول	RASULEY
١٣٤٩ ، ١٣٣٦	٢	شهر الصيام	رمضان	RAMJANA RAMDANA
٤٨٠ ، ١٤٠ الخ ١٠٨٤	٥	الصوم	روزه	ROJA
٨٣٣ ، ٤٣٠ الخ ١١١٦	٩	الزكاة (ضريبة الثروة المفروضة على المسلمين)	زكاة	JAGATEY JAGATI JAGATIYA
١٤١٠ ، ٣٥٨ ، ٥٣	٣	المتدرب الروحي	سالک	SALIK
١٥٠ ، ١٤١ ، ٢١٠ ، ٤	٤	المنزه	سبحان	SOHAN SUBHAN

ثقافة الهند

٨٤	١	السجدة	سجده	SAJDA
٤٧٤، ١٤٣ الخ ١١٩١	١٢	التحيات	سلام	SALAM
١٤١٠، ٧٢١	٢	الأغاني الصوفية	سماع	SAMAI
٣	١	الشريعة الاسلامية	شرع	SARA
١٠٨٣، ٤٦٥، ٨٤	٣	القانون الاسلامي	شريعة	SARIAT
١٤١٠، ١٤٥، ٣ الخ ٩٥٤	٢١	المرشد	شيخ	SEKH
١٣٨٤	١	الذي ينتمى إلى الطريقة الشيشتية الصابرية	صابري	SABRI
١٤٠٣، ١١٧، ٨١ الخ	٦	الخيرات و الصدقات	صدقه	SADKA SADKE
١٥	١	جمع الصوفى	صوفيه	SOPHIA
١٠٨٣، ٣٤٠	٢	طريق المعرفة	طريقت	TARIKAT
٩٦٧	١	العرش	عرش	ARSHU
٧٢٣، ٣١٥ الخ ١٣٨١	٥	ملك الموت	عزرائيل	AJRAIL
١٢٩٣	١	عيد المسلمين عند انتهاء شهر الصيام	عيد	ID
٥٢١، ٢٧٧ الخ ١١٣٨	٦	المتصدق على الفقراء	غريبنواز	GARIBNAWAJ
٩٥٢، ٣١٥ ١٣٨١	٣	الملك	فرشته	PHARISTA
١٣٧٧، ٤٨٨ الخ ١٣٨٣	١٠	الشيخ فريد	فريد	PHARID
٢٤٥، ٧٢٧	٢	الفقر، الزهد	فقر	PHAKRU

المرشد نانك في المنظور الاسلامي

١٢٨٧.٢٢٧ الخ ١٢٨٢	٨	الزاهد	فقير	PHAKIR PHAKIRAN
.٤٧٥ .٦٤ الخ ٩٦٦	٦	القدير	قادر	KADIR
١١٥٨	١	كتاب في الفقه الاسلامي	قدوري	KADURI
١١٦٧.٧٦٥	٢	درويش حرّ	قلندر	KALANDAR
.٧٢٧ .٦٤ الخ ١٣٦٦	٩	الكريم	كريم	KARIM
٤٨. .١٤١.١٤. الخ	٤	كلمة الشهادة	كلمة	KALMA
١١٥٨	١	أطعمة نذر عامة	كندوري	KADURI
٤٨٨	١	المريد/ التلميذ	مريد	MARIDA
١٣٥. .١١٥٨ الخ	٦	المسجد	مسجد	MAHJID MASEET
٨٧٥.٧٢١.١٤١ الخ	١٣	المسلم	مسلم، مسلمان مسلماني	MUSLIM MUSALMAN MUSALMANI
.٥١٨. ٥٢ الخ ١٣٨.	٨	جمع الشيخ	مشائخ	MASA'IK
.١١٩١. ٤٨. الخ ١٣٨.	٥	سجادة الصلاة	مصلى	MUSALLA
١.٨٣	١	المعرفة	معرفة	MARPHARAT
١١٥٨.١.٨٣	٢	مكة المكرمة	مكة	MAKKA
١٣٨٢	١	ملك الموت	ملك الموت	MALKULMAUT
١٣١٢	١	اسم النبي	موسى	MUSA
١١٦٧.١.٨٣	٢	لقب العلماء	مولانا	MOLANA

ثقافة الهند

١٤٠٠٠٢٤ الخ ١٢٥٠	١٢	الصلوة	نماز	NAWAJ
٧٢٣	١	النعمة	نعمة	NIYAMAT
١٣٨١، ١٣٥٠	٢	الوضوء	وضو	UJU
٩٣٦، ٢١٠، ٥٩ الخ	٦	الكلمات المقدسة التي تكرر باستمرار	وظيفة	WODIJOHA

لما أن ثقافة منطقة مأهولة بتجمع بشري تنبعث من الفكرة و المثالية في الكون و تنعكس في لغتها و آدابها، فاننا نجد أقوال جورو نانك تعطينا فكرة جلية عن الروحانية التي تتوافق مع تعاليم و ممارسات الصوفية المسلمين توافقا كبيرا و هكذا فان مجموعة الأدعية و الأوراد باللغة البنجابية (JAP JI) و الكتاب المقدس (GARANTH) هي خير أمثلة للتعاطف بين الديانات، و التفاعل بين الثقافات المتقاطعة، و بذات فانها تخلق فكرة كونية للتسامح الديني. و لا يُنكر اذا قلنا ان الصوفي العظيم و المبروك و الذي ندعوه بـ جورو نانك، قد وضع أساسا لعقيدة دينية موسعة خالية من شوائب العصبية.

المراجع:

- ١ - ميكنكون، الحركات الدينية العصرية في الهند (Modern Religious Movements) ١٩٢٤، الصفحة: ٣٣٦.
- ٢ - VAR BHAI GURDAS - PEHLI - PAURI الصفحة: ٣٢
- ٣ - ليبيل أيش . جريفين ، رنجيت سينغ Ranjit Singh حيدرآباد ، ١٩٢٤ ، الصفحة: ١٥ (الطبعة الأولى: مطبعة كلاريندون - أكسفورد ١٩٠٥).
- ٤ - BHAIR VIR SINGH (ed) PURATAN JANAM SAKHI , KHALSA SAMACHAR, AMRITSAR مايو ١٩٥٢م، الصفحة: ٨٧
- ٥ - جوكول تشاند نارنج ، TRANSFORMATION OF SIKHISM مجمع الكتب الهندي الجديد، دلهي. (الطبعة الخامسة) ١٩٦٠م ، الصفحة : ٢٤٩ ، (طبع للمرة الأولى عام ١٩١٢م).